مساهمة الشعب الجزائري في الحفاظ على الهوية الوطنية

دراسة حالة سكان منطقة الجلفة

The contribution of the Algerian people to the preservation of the national identity

A case study of the inhabitants of the Djelfa region

طالبة الدكتوراه/ حفيضة معمر[1،2]

[1]**جامعة الجزائر** 2، **(الجزائر)**

[2]**المؤلف المراسل:** hafida.maa17@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/03   تاريخ القبول للنشر: 2021/08/30   تاريخ النشر: 2021/09/28

❖❖❖❖❖❖❖

مراجعة المقال: اللغة العربية: د./ علي زيتونة مسعود (جامعة الوادي)   اللغة الإنجليزية: أ./ محمد شوشاني عبيدي (جامعة الوادي)

ملخّص:

تناولت هذه الدراسة مساهمة أبناء منطقة الجلفة في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية والوقوف في وجه كل المحاولات الهادفة إلى طمسها، خاصة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، متعرضين في ذلك إلى: مفهوم الهويّة، والسياسة الفرنسيّة من أجل طمس عناصر الهويّة الوطنيّة الجزائريّة كـ: اللغة العربيّة، والدّين الإسلامي طيلة أكثر من قرن وثلاثين سنة، وعرضنا للكيفيّة التي جابه بها أبناء منطقة الجلفة المساعي الفرنسيّة لطمس هويتهم: اللغويّة، والدّينيّة، والثّقافيّة، والآثار المترتّبة عنها.

الكلمات المفتاحية: الهويّة الوطنيّة؛ منطقة الجلفة؛ السياسة الاستعماريّة الفرنسيّة؛ الهويّة اللغويّة؛ الهويّة الدينيّة؛ الهويّة الثقافيّة.

Abstract:

This study addressed the contribution of Djelfa people in preserving the Algerian national identity and standing against all attempts to obscure it, especially during the French colonization of Algeria, by discussing at first the concept of identity, the French policy in obscuring the elements of the Algerian national identity during a period of more than one century and thirty years such as Arabic language and Islam. Then, by examining how the people of Djelfa had faced these attempts to obscure the linguistic, religious and cultural identity and its effects.

Key words*: National Identity; Djelfa region; French colonial policy; Linguistic identity;For a religious identity; Cultural identity.*

مقدّمة:

إنّ أساس أيّ أمّة هو هويّتها الخاصّة بها، التي تميّزها عن غيرها من الأمم، من خلال مقوّمات وثوابت تقوم عليها، إذ تلعب الهوية دورا بارزا في الحفاظ على كيان الأمة وحمايتها من كلّ الحملات التي تحاول طمسها وإبعادها عن كنهها.

وهو ما حدث خلال الحملات الاستعمارية التي عملت من خلالها الدول المستعمِرة على تهديم هويّة الأمم التي استعمرتها، ومثال ذلك ما قام به المستعمر الفرنسي أثناء احتلاله للجزائر، إذ اتّخذ لذلك أسلوبا استعمله مع كل مستعمراته لاسيما منها الجزائر، فعمل على نشر سياسة: التّفقير، والتّجويع، والتّجهيل، والتّجنيس، بهدف تمييع الفرد الجزائريّ والقضاء على هويّته، فلم تعد الجزائر مهدّدة في ثرواتها فقط، بل أيضا مهدّدة بأبشع أنواع الاستعمار عبر العصور والمتمثّل في فقدان الهويّة.

وعلى الرغم من تلك الحملات الاستعمارية الفرنسية الهادفة إلى طمس الهوية الوطنية، إلا أن الشعب الجزائري بقي متمسّكا بهويته، وقاوم كلَّ محاولات اجتثاثها.

ومن بين أهمّ المناطق التي كان لها دور كبير في الحفاظ على الهوية الجزائرية بعناصرها المختلفة نجد منطقة الجلفة، التي ستركز عليها الدراسة من خلال إبراز السّبل التي انتهجها الشعب الجزائري بما فيهم سكان منطقة الجلفة في سبيل التّمسك بهويتهم وأصالتهم.

وهو ما سنحاول معرفته من خلال الإجابة على الإشكاليّة التالية: كيف ساهم سكان منطقة الجلفة في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية والوقوف ضدّ السياسة الفرنسية الرامية إلى طمسها؟

هذه الإشكالية تتفرّع إلى عدّة تساؤلات فرعيّة هي:

ما هو مفهوم الهوية؟ وما هي السياسة الفرنسية المتّبعة بالجزائر لطمس الهوية الجزائرية؟ وكيف كان ردّ فعل المجتمع الجزائري لمواجهة هذا المسعى خاصة أبناء منطقة الجلفة؟

وللإجابة على الإشكالية الرئيسة والتّساؤلات الفرعية تمّ تقسيم الدراسة إلى المحاور التالية:

1 ـ **المحور الأول: مفهوم الهوية الوطنية.**

2 ـ **المحور الثاني: السياسة الاستعمارية لطمس الهوية الجزائرية.**

3 ـ **المحور الثالث: مساهمة أبناء منطقة الجلفة في الحفاظ على الهوية الوطنية.**

4 ـ **المحور الرابع: الآثار المترتبة على محافظة أبناء منطقة الجلفة على الهوية الوطنية.**

الخاتمة.

المحور الأول:

مفهوم الهويّة الوطنية

إنّ من بين أهمّ مميّزات الدول، وجود هويّة يتفرّد بها شعبها عن باقي الأمم والشعوب، ويسعى كل شعب إلى الحفاظ على هويته والتمسّك بها، لأنها تعتبر عاملا من عوامل الوحدة، وأساس من أسس بناء حضارة أيّ شعب وأيّ أمة.

لهذا كان موضوع الهويّة موضوعا حسّاسا ومعقّدا، اهتمّ به المفكّرون منذ أكثر من قرنين، فمفهوم الهويّة من ناحية الدلالة اللغويّة: كلمة مركّبة من ضمير الغائب "هو"، مضاف إليه"ياء" النّسبة التي تتعلّق بوجود الشّيء المعنيّ، كما هو في الواقع بخصائصه ومميّزاته التي يعرفها. والهويّة بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله، أي وجود الشّخص أو الشّعب أو الأمة كما هي بناء على مقوّمات ومواصفات وخصائص معينة (أوشن، 2010/2009، صفحة 63).

فالهوية إذا هي الخصوصية التي تميّز أي جماعة بشرية عن غيرها: كالعيش المشترك؛ العقيدة؛ اللغة؛ التاريخ والمصير المشترك... وهو ما عبر عنه مونتسكيو بـ: "روح الأمة" لأنها تمثّل رمز وحدتها واستمراريتها، بحيث تتفاعل عناصر هذه الهويّة ضمن هويّة مركزيّة أو أرضية مرجعيّة Frame Refernce تتحدّد وفق المرجعيين التاليين (خليفة، 2003، صفحة 91):

- **الثقافة**: إنّ الثقافة هي التي تمكن الفرد من التكيّف والتّوافق مع الجماعات الاجتماعية وتحقيق ذاته في إطار الجماعة والمؤسسات المجتمعية.

- **الوطنية**: تعبّر الدولة الحديثة عمّا يسمّى "بالهويّة الوطنية" كأرضيّة مرجعيّة تشمل كل السمات الثقافية للأمة، وتصبح بالتالي أحد الدّلالات الأساسيّة المحدّدة لهويّة شعب يعيش ضمن إقليم جغرافي محدّد، إذ أصبح مفهوم المواطنة من رموز وحدة واستقرار الأمة وبإمكانه أن يستوعب كلّ الثقافات الفرعيّة، والهويّة تمثّل الإطار أو القالب الذي يمكن أن ينتمي إليه أو يشعر الإنسان أنه ينتمي إليه مع الآخرين من أبناء مجتمعه، أي هي أشبه بالرابطة القيميّة أو الروحية بين أفراد المجتمع ككل. فهي إذا تمثل الإطار أو القالب الذي يمكن أن ينتمي إليه أو يشعر الإنسان أنه ينتمي إليه مع الآخرين من أبناء مجتمعه، أي هي أشبه بالرابطة القيميّة أو الروحيّة بين أفراد المجتمع ككل.

وقد كان أول ظهور لمفهوم الهوية في كتابات الفيلسوف والمؤرخ الألماني الاجتماعي "فلهلم دلتاي" (1833- 1911)، وقد جعله ماكس فيبر (1864- 1920) "Max Weber" على مستويين (نسير):

يتعلّق أولهما بما يطلق عليه دلتاي اسم الصورة الكونية التي تؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلمات الافتراضية عن العالم الحقيقي الواقعي، التي يمكن في ضوئها وبالإشارة إليها يمكن الوصول إلى إجابات شافية حول مغزى الكون والوجود.

ويتعلّق المستوى الثاني بالسياق التّصوري الواعي والإرادي الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم الواقعية أو المركبة من النواحي الثقافية في الأصل، لكن أيضا من النواحي الأخلاقية والاجتماعية والثقافية.

وتعرّف الهوية أيضا على أنّها حصيلة مجموعة من العلاقات والدّلالات التي يستقي منها الفرد معناه لقيمته، ويصنع لنفسه في ضوئها نظاما يشكّل في إطاره هويّتَه، بحيث تتوافر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته، داخل الوسط السوسيوثقافي، باعتباره مرجعا على المستوى السلوكي، كما تعرف بأنها مركّب من العناصر المرجعيّة الماديّة والاجتماعيّة والذاتيّة المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي (أوشن، 2010/2009).

وعرفها الدكتور أحمد زردومي بأنها: "مجموعة قيم ومبادئ وأفكار تشكّل اتّجاهًا عاما: اجتماعيّا، سياسيّا ... حول قضايا معينة في إطار التاريخ والمستقبل، في إطار الماضي، كونها ممتدة عبر التاريخ، الذي هو ملك للجميع (زردومي، 2009)، كما حدّد لها عدة أوجه للهوية كالتالي (زردومي، 2009):

- الوجه الثقافي العميق: ويتمثّل في الماضي العميق من ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.
- الوجه الاجتماعي: التقاليد، العادات، الأعراف، ...
- الوجه الديني: كيف نتعامل مع الديانات.
- الوجه النفسي: ممثلا في سيكولوجية الشعور (اللباس، الأكل...)
- الوجه السياسي.
- الوجه الاقتصادي.

أنواع الهوية: حدّد العلماء والمفكرون نوعين للهوية (نعمان، 1995، صفحة 24):

1- **فردية**: هي تعتمد أساسا على المميزات "الجسدية" التي تميّز كلّ كائن بشريّ عن الآخر من بين ملايير البشر في المعمورة، وأبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف عمليا.

2 . **هوية وطنية أو قومية**: وهي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة، التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة أو شعب واحد، التي تجعلهم يعرفون ويتميّزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى.

وهناك من يعتبر أنّ الهويّة تنقسم إلى شقّين: شقّ ذاتي، وشقّ مكتسب (مقلاتي، 2009):

1-**الذاتيّ**: يتمثّل في المكونات الرئيسَة الأصليّة التي تميّز فردا عن آخر، ودولة عن أخرى، ...

2-**المكتسب**: وهو ما يكتسبه الفرد طيلة حياته من يوم ولادته، كالقيم والأفكار والاعتقادات ...التي تسهم كلها في تكوين شخصيته: الدينية، الوطنية، الشخصية، ....وتؤثّر سلبا أو إيجابا على قراراته وأعماله.

مع الإشارة إلى نقطة مهمّة، وهي أنّ الاختلاف في مقوّمات الهويّة الفرديّة والقوميّة هو: اختلاف في النّوع وليس في الدّرجة، فالهويّة الفرديّة ذات سمات جسديّة في الأساس، والهوية القوميّة ذات سمات ثقافية في الأساس، هذا دون أن يوجد أي تناقض بين الهويتين، بل هما ترتبطان بعلاقة جزء بكل (نعمان، 1995).

ومن هنا فإنْ كان أفراد المجتمع يلتقون في العموميات الثقافية أو في بعض البدائل، فإنّهم قد يختلفون في الخصوصيات التي تظهر بوضوح لدى المجتمعات الكبيرة المتمدّنة، حيث تتعقّد الحياة وتتعدّد الأدوار وتتنوّع العلاقات.

وعليه فإنّ أهميّة الهوية تكمن في الحفاظ على كيان الأمم وحمايتها من الذوبان، ومن كل الضربات الموجهة لها من الخارج كالحملات الاستعمارية التي تعمل من خلالها الدول الاستعماريّة على محاولة سلخ الشعوب المستعمِرة من هويتها وتهديمها، مع إحلال هويتها الأجنبية في محلها، وهو ما سعت إليه السلطات الاستعمارية منذ دخولها أرض الجزائر سنة 1830م. فلم يكن احتلالها غزوا عسكريا فحسب، بل أعمق من ذلك، فقدْ كان غزوا فكريا يصبو إلى استئصال كل المعالم والقيم الدينية لهذا المجتمع، والتّشكيك في هويته الوطنية الجزائرية الإسلاميّة العربية ومحوها، معتمدة في ذلك على رسم عدة سياسات لتحقيق هدفها، وهو ما سيتم توضيحه أدناه.

المحور الثاني:

السياسة الاستعماريّة لطمس الهويّة الجزائريّة

عملت السّلطة الاستعماريّة الفرنسيّة منذ الوهلة الأولى على إدماج الشّعب الجزائري أرضا وشعبا، فقامت بسنّ مجموعة من القوانين لتجعل من الأهلي المسلم الجزائري فرنسيًّا إلّا أنه خاضع لأحكام القانون الإسلامي، ويمكن استدعاؤه للخدمة العسكرية، كما يحقّ له أن يتمتّع بحقوق المواطن الفرنسي إذا طلب ذلك، وفي هذه الحالة تجري عليه الأحكام المدنية والسياسية الفرنسية، وتجنيسهم بالجنسية الفرنسية بعدما يتنازلوا عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي.

فطيلة أكثر من قرن وثلاثين سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، حاول المستعمر خلالها بكلّ السبل طمْس الهوية الجزائرية، بممارسة عمليّة المسخ الثقافي واللغوي الذي ارتكن إلى محوِ الشخصية الجزائرية التي تكوّنت بفعل التراكمات التاريخية، فقد انتهج الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر خطة محكمة، لا يهدف من خلالها إلى الاستيلاء على الأرض الجزائرية وخيراتها الاقتصادية فحسب، بل كان يرمي إلى أبعد من ذلك، وهو القضاء على الكيان الجزائري، الذي يتمّ من خلال محْو مقوّمات الشخصيّة الجزائرية، ومن ثمّة القضاء على هويتها وبذورها الأصلية.

ولقد اتّبع في ذلك سياسة تضمّ جميع مجالات الحياة: الاقتصادية؛ السياسية؛ الاجتماعيّة والثقافيّة، وسنّ لذلك قوانين عملت على إذابة الكيان الجزائري، متّبعا في ذلك وسائل عديدة ومختلفة من أجل تجسيد هذه السياسة، فعمد إلى عناصر الهويّة الجزائرية بالطمس والتّشويه، فاستهدف اللغة العربية عن طريق سياسة الفرنسة، ثم سعى نحو محْو الدين الإسلامي عن طريق سياسة التنصير ونشْر الديانة المسيحية، كما عمل على سلخ المجتمع الجزائري من جنسيته الأصليّة، واحتوائه بإصدار قانون التّجنيس والإدماج الكلّي، وكلّ هذا لأجل تهديد أمْن الشعب الجزائري، حيث عمد إلى الحياة الاقتصادية بهدف محاربة الشخصيّة الجزائرية، فحرم الفلاح الجزائري من أرضه وخيراتها، فصادرها ومنْحها للأوربي

الذي استولى عليها، وجعْل العامل الجزائري مجرّد عاملٍ ذليل، حيث أصبح سكان الريف يعانون البؤس والفقر، ويهاجرون بأعداد كبيرة، إمّا إلى مدن الجزائر، وإمّا إلى فرنسا، طلبا للعمل من أجل لقمة العيش، إضافة إلى زراعة الأراضي، وتصدير المنتوج إلى السّوق الأوربية، مع حاجة الشعب الجزائري الماسّة إلى هذا المنتوج، وهذا سعيا إلى نشْر الجوع، والتّحكّم في السّوق الداخليّة والخارجيّة للجزائر، وفي هذا قضاء وتحطيم لاقتصاد البلاد الذي يعني القضاء على الأسس الأخرى المرتبطة به (أوشن، 2010/2009، صفحة 122، صفحة 123).

ولقد نتج عن هذه السياسة الشاملة تدهور اجتماعي، وهي النتيجة الحتميّة لها لا محالة، حيث انتشر بين الجزائريين، الجهل والفقر والبؤس ومختلف الأمراض بشكل واسع، مَا جعل الفردَ الجزائريّ لا يفكر إلا في حالته المزرية، ومن ثمّة يسهل على المستعمر سلب مقوّمات هويته، وبلوغ كيانه دون أدنى جهد، مستهدفا بذلك بلوغ ثلاثة أهداف رئيسية هي:

1. **سياسة الفَرْنَسَة**: وهي تعني إحلال الثّقافة الفرنسية محلّ الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، حتى ينسى الجزائريون مع مرور الزمن لغتهم العربية وثقافتهم القوميّة ويستبدلونها بلغة وثقافة المستعمر، وبذلك يتمّ صبغ البلاد بصبغة فرنسية، فتنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر بماضيها وحاضرها، وبذلك تصبح أكثر انقيادا وقابلية للاندماج (حلوش، 2010، صفحة 63). فقدْ رأى المحتلّ أنّ فرْنسَة الشعب الجزائري ضرورة حتميّة من أجل ضمان بقائه الدائم بالجزائر، فقدْ ورد في أحد التعليمات التي صدرت أيام الاحتلال: "إنّ إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسيّة إلّا عندما تصبح لغتنا لغة قوميّة، والعمل الجبّار الذي يترتّب إنجازه هو السّعي وراء نشْر اللّغة الفرنسيّة بين الأهالي بالتّدريج، إلى أنّ تقوم مقام اللغة العربية" (تركي، 1986، صفحة 106).

ومن أهمّ الوسائل التي اعتمدها المستعمر لتحقيق سياسته هذه، التعليم، فمن خلاله يتمكّن المستعمر من السيطرة على الفرد الجزائري، ويسهل بالتالي سلب معالم هويته، فعملت على محاربة التعليم العربي: فأغلقت المدارس الجزائرية وتابعت المعلمين؛ واستولت على كثير من المساجد والزوايا التي كانت مراكز للتّعليم الدّيني والدّنيويّ؛ وألحقت مؤسسات الأوقاف (التي كانت تُموّنها) بالأملاك التي استولت عليها، وبذلك حُرِم الجزائريون من نور العلم، أمّا المدارس التي سمح لها بالاستمرار في عملها، فقد منعتها من تدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها، كما منَع تدريس أبواب الجهاد من الفقه الإسلامي (خليفي، 2007، صفحة 95).

لقد انقلبت الأوضاع رأسا على عقب، فبعد أنْ كانت المدارس والكتاتيب منتشرة في كل قرية ومدينة يؤطّرها رجال أكفاء، استطاعت ثقافة المستعمر أن تغزو مراكز الثقافة القومية، وأن تقصي المدارس العربية، ثم بدأت تشوّهها في عقول المواطنين، ليقتدوا بالمستعمر، في أخذ ثقافته ونظمه، وقد جعل المستعمر من اللغة الفرنسية شرط تقلّد الوظائف والحصول على لقمة العيش، بينما أصبحت اللغة العربية، لغة أجنبية لا تفيد في شيء (خليفي، 2007، صفحة 96).

كما فرضت اللغة الفرنسية في الإدارة، والمحيط، وأجهزة الإعلام، فأصبحت هي اللغة الرسمية في الإدارة، والوحيدة في كتابة أسماء المحلات والشوارع والمدن، وكلّ المرافق العامة، واستبدلت معظم الأسماء العربية للشوارع والمدن بأسماء لقادة الغزو العسكري والفكري للجزائر، أمثال: بيجو، كلوزيل، لافيجري، ...ولأعلام الفكر والأدب الفرنسي أمثال: ديكارت، فيكتور هيجو، لامارتين، ... وغيرهم (نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل)، 1990، صفحة 86).

إلاّ أنه رغم هذه الأساليب المختلفة التي اتبعتها السياسة الاستعمارية في فرنسة الشعب الجزائري، فإنه ما يلاحظه وعدم تحقيقها لما كانت تصبو إليه، فلم تحْتَوِ سياستها هذه الشعب الجزائري برمّته الذي بقي محافظا على مقوّمات هويته، لأن الإسلام والعروبة ميزات متجذّرة ويصعب اجتثاثهما بسهولة، وبذلك فشلت السياسة الاستعمارية في هذا الجانب في تحقيق أغراضها في كامل تراب الجزائر، ولم تؤثّر هذه السياسة إلّا في ثلّة قليلة جدا من الجزائريين، أطلق عليهم اسم "النّخبة"، وهمْ من تثقّفوا بالثّقافة الفرنسية وتشبّعوا بها وانبهروا بالحضارة الفرنسيّة، فأصبحوا دعاة متحمّسين لفرنسة التّعليم والإدارة وبقيّة المجالات الأخرى، وبذلك فقدْ شكّلوا طبقة موالية لفرنسا تسعى لتحقيق سياستها الرامية لهدم الشخصيّة الجزائرية.

2. سياسة التّنصير:

أدرك المحتلّ الفرنسي للجزائر مدى تأثير الدين الإسلامي في تاريخ الجزائر، وأنه لن يتمكّن من السيطرة على الجزائر إلا بعد ارتداد الجزائري عن دينه، لذا عمل على إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتنصيرهم كي يصبحوا مسيحيين يحملون عقيدة المحتلّ لبلادهم، وبالتالي القضاء على مقوّم آخر من مقوّمات الهوية الجزائرية وهو الإسلام، لذا شهد التنصير في الجزائر نشاطا كثيفا في كثير من مناطق البلاد على امتداد سنوات طويلة تحت رعاية إدارة الاحتلال، وقام بقيادة هذا النشاط الخطير الكثير من القساوسة ورجال الدين المسحيين أمثال: أنطوان دوبوش، لويس بافيه، لافيجري، دوفوكو...

وإذا كانت سياسة التّنصير وسيلة للفرنسة، وهدفا من أهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر لإحلال الثقافية الفرنسية محلّ الثقافة العربية الإسلامية الجزائرية، فلم يكن تطبيقها بالشيء الهيّن في مجتمع خال من الطوائف الدينيّة متمسّكا بالإسلام كالمجتمع الجزائري، لذلك عمدت الإدارة الاستعمارية إلى طرق عديدة لبلوغ الهدف منها (أوشن، 2010/2009، صفحة 125، 126):

أولا: تكثيف نشاط الإرساليات الدينيّة المسيحيّة التي تتوافد على القطر الجزائري بمختلف الأشكال والأسماء من: هيئات تعليمية، وجمعيات خيرية ...، وأظهرتْ نشاطا في ميادين الخدمات الاجتماعية، وتغلغلت في المناطق الأكثر فقرا، لإغراء الأهالي بالمساعدات الماديّة، واستدراجهم إلى الدّين الجديد، إذ جلبتْ فرنسا العديد من القساوسة الفرنسيين إلى منطقة القبائل، وقد ارتدوا ما يعرف في بلاد القبائل "البرنس الأبيض"، وعرفوا بالآباء البيض، وراحوا ينشرون بين الناس الأميين والبسطاء أنّ

الإسلام هو السبب في القضاء على العرق البربري، وبأنّ العرب هم الذين دمّروا لغتهم...، أما عن عنصرهم فقالوا بأنه آري، وهو العنصر العرقي نفسه الذي تنتمي إليه أوربا وفرنسا الكاثوليكية.

ثانيا: التركيز على تنصير الأطفال وذلك بإغرائهم، خاصة اليتامى والمشردين بشتى الوسائل، لجلبهم وتنشئتهم على الديانة المسيحية وقد نشط الآباء البيض في اصطياد هؤلاء الأطفال وجمعهم في ملاجئ أنشئت لهذا الغرض، منها: "ملجأ ابن عكنون" و "القديس ميشال".

وجدير بالذّكر أنْ ندرج ما قاله: "الكاردينال لافيجري" في مقدّمة برنامجه التّنصيري الذي أعدّه سنة 1867: "علينا أنْ نجعل من الأرض الجزائرية مهْدا لدولة عظيمة مسيحيّة، أعني بذلك فرنسا أخرى، يسودها الإنجيل دينا وعقيدة، فهذه هي آية الله". وقد سار بذلك لافيجري في خط لوفيبو (سكرتير الماريشال بيجو الذي قال في تصريح له سنة 1838م أنّ: "العرب لا يقبلون فرنسا، إلاّ إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين"(نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل)، 1990، الصفحات 90-92)

3. سياسة التجنيس والإدماج الكلي (أوشن، 2010/2009، صفحة 127، 128):

يعتبر الإدماج الأساس الثالث الذي قامت عليه السياسة الفرنسية في الجزائر، من أجل سلخ الشخصية الجزائرية وإذابتها في الكيان الفرنسي، وسلب مقوّماته من: دين، جنس ولغة .

أي أنّ الإدماج يعني: "ربط الجزائر سياسيا وإداريا بفرنسا، وهضمها ثقافيا وروحيا ولغويا في القومية الفرنسية"، كما يعرف الإدماج من الناحية السياسية بأنه: "جعل الجزائريين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا فرنسيين يتمتّعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتّع بها الفرنسيون داخل بلادهم وخارجها ويتلقون التعليم الذي يتلقّونه، ويرقون إلى الوظائف العامة بالطرق ذاتها التي تخولها القوانين الفرنسية للفرنسيين، كما أنّ لهم نفس الميزات الاجتماعية". وعلى هذا الأساس تتمثّل حقيقة الإدماج في إفراغ للجزائري من الداخل، أي التّخلّي عن دينه الإسلامي وعن لغته العربية، والاحتفاظ بنمط معيشته ولباسه، وتبنّي دين المستعمر ولغته وعاداته.

فهذه السياسة الفرنسية ما جاءت إلا لسلخ الجزائري من جنسيته الأصلية، ومحو ثوابت هويّته المميزة له، لاسيما وأنّ التجنيس يعتمد على التخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية، الذي يعني الارتداد في الدين وتقبّل أحكام القانون المدني الفرنسي، وهي الغاية التي تصبو إلى تحقيقها هذه السياسة.

ممّا سبق، ورغم ما قامت به السياسية الفرنسية من: فرنسة، وتنصير وإدماج، من أجل محْو الشخصيّة الجزائريّة وذوبانها في الحضارة الفرنسية، إلا أنها لم تحقّق النجاح الذي كانت تصبو إليه، ذلك أنّ الشعب الجزائري كلّه يندّد بهذه السياسة ورفضها رفضا قاطعا، محاولا بثّ روح اليقظة في أبناء الجزائر بجميع مكوّناتها الشعبية في مختلف جهات الوطن، ومنها أبناء منطقة الجلفة محور البحث، الذين ساهموا مساهمة فعّالة في الحفاظ على الهويّة الوطنية، بحكم تجذّر عروبتهم وتمسّكهم بديانتهم، وهو ما ستبرزه الدراسة في العناصر الموالية.

المحور الثالث:

مساهمة أبناء منطقة الجلفة في الحفاظ على الهويّة الوطنيّة

تكاتفت جهود أبناء الجزائر من أجل الحفاظ على أرضهم وهويتهم الوطنية، ووقفوا في وجه المستعمر وأفشلوا كل سياساته الرامية إلى سلبهم أرضهم وثرواتهم، ومحاولة طمس هويتهم الوطنية، فكانت ردة فعل أبناء منطقة الجلفة كباقي أبناء الجزائر قويّة وشرسة وساهمت في الحفاظ على الهويّة الوطنيّة الجزائريّة.

1 ـ لمحة تاريخيّة عن منطقة الجلفة:

قبل التّطرق إلى مساهمة أبناء منطقة الجلفة في الحفاظ على الهوية الوطنية، كان لزاما علينا إعطاء لمحة تاريخية عن المنطقة.

تعتبر منطقة الجلفة مجالا حيويّا للتّجمعات البشرية التي اتّخذت منه موطنا لها ومحْور تفاعل مع المجموعات البشرية المجاورة، فموقعها الجغرافي جعل منها مركز عبور بشري، ونقطة تفاعل حضاري عبر مختلف العصور التاريخية، بدءا من التّعمير البشري إلى غاية وصول الإسلام إليه عن طريق الفتوحات الإسلامية إلى المغرب العربي بما فيه المغرب الأوسط (الجزائر)، ومنطقة الجلفة جزء منه. وقد تحقّق هذا الفتح واستقرّ الإسلام بالمغرب بعد حوالي سبعين سنة، ويرجّح أنّ أوّل وصول للإسلام للمنطقة مجال البحث كان عن طريق عقبة بن نافع حوالي سنة 682م (دوفيلاري، 2015، الصفحات 98-100).

وعليه فقد دخل الإسلام لمنطقة الجلفة مع بداية الفتوحات إلا أنّ تواجد العرب المسلمين بها و بالمغرب العربي عموما ظلّ سطحيا إلى غاية توالي الهجرات العربية الهلالية والسليمية إليه، بدءا من منتصف القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي (خلدون، 2000، الصفحات 18-20). وتعتبر هذه الهجرة حدثا تاريخيا، وحركة اجتماعيّة هامة بالمغرب، بالنظر إلى النتائج المختلفة والآثار المترتّبة عنها التي شكّلت انقلابا جذريّا وسم حياة سكان المغرب بالسمات العربية، ويعود لها الفضل في تعريب بلاد المغرب، وأصبحت عربيّة إسلاميّة بحتة كمنطقة الجلفة.

حافظت منطقة الجلفة كغيرها من مناطق الوطن على عناصر هويتها الدينية واللغوية والثقافية التي تميزت بها منذ الفتوحات الإسلامية، وبقيت كذلك رغم محاولة المستعمر الفرنسي -بعد احتلاله الجزائر- طيلة أكثر من قرن وثلاثين سنة طمس هذه الهوية وإحلال هوية أخرى محلّها، فأوّل ما قامت به السلطات الاستعمارية استبدال اسم المنطقة من بلاد أولاد نايل الغرابة إلى الجلفة، وكان هدفها نزع المنطقة من أيدي أهلها، فالاسم كان يدلّ على ملكية السكان لأرض أولاد نايل، وغيرها من المحاولات، إلا أنّ أبناء المنطقة محلّ الدراسة واصلوا مقاوَمَتهم لهذا المسعى، ووقفوا لهم بالمرصاد، مستخدمين في ذلك كلّ الأساليب المسلحة والسّلميّة، فاسترجعوا سيادتهم الوطنية وحافظوا بذلك على هويتهم: الدينية واللغوية، الهوية الثقافية، وهو ما سنحاول شرحه في ما يلي:

2 ـ مساهمة أبناء منطقة الجلفة (المسلحة والسلمية) لمقاومة الاستعمار واسترجاع السيادة الوطنية للحفاظ على الهوية الوطنية:

استخدم المجتمع الجزائري بما فيه أبناء منطقة الجلفة محلّ الدراسة للحفاظ على هويتهم الوطنية الجزائرية التي حاول المحتل الفرنسي طمسها طيلة أكثر من قرن وثلاثين سنة، كل الوسائل المتاحة: المسلحة منها والسلمية حتى تمكّنوا أخيرا من استرجاع سيادتهم الوطنية.

- المساهمة في المقاومات الشعبيّة:

ساهم أبناء منطقة الجلفة في الدّفاع عن وطنهم للحفاظ على هويّتهم حتى قبل وصول القوات الفرنسية أراضيها، إذ كانوا إلى جانب زعماء المقاومة الجزائرية كـ: الشيخ موسى الدرقاوي، والأمير عبد القادر (Arnaud, 1873, p. 305)، وبقوا على موقفهم الرافض للعدوّ ومقاومته رغم الأعمال الوحشية التي رافقت كلّ عمليّة زحف للقوات الفرنسية على أرض منطقة الجلفة، فواصلت دعمها واحتضانها للأمير ومقاومته، وشاركت إلى جانبه في عدة معارك داخل وخارج ترابها (Villaret, 1995, pp. 110,111).

ورغم نهاية مقاومة الأمير لم تركن قبائل منطقة الجلفة للخضوع والاستسلام، بل كانت تتحيّن الفرص للتّمرّد على القوات الفرنسية وممثّليها بالمنطقة، كما شاركت: في مقاومة الزعاطشة (Villaret، 1995، صفحة 119)، ودعّمت زعماء المقاومة: بومعزة (Villaret، 1995، صفحة 116)، محمد بن عبد الله شريف ورقلة والثائر بن ناصر بن شهرة (Villaret، 1995، الصفحات 121,122)، كما كان لهم إسهام في مقاومة أولاد سيدي الشيخ (وأخرون، 2017، صفحة 349)، وثورة المقراني (مغدوري، 2015، صفحة 195)، بل أكثر من ذلك فقد أنجبت الجلفة زعماء للمقاومةكـ: تلي بنلكحل (وأخرون، 2017، صفحة 211، 212)، بوشندوقة (Arnaud, 1873, p. 384)، وغيرهما.

- المساهمة في المقاومة السّلميّة:

سعى الشعب الجزائري من أجل المحافظة على هويته الوطنية بشتى السبل، فبعد فشْل المقاومات الشعبية راح يبحث عن وسيلة أخرى يستطيع من خلالها استرجاع سيادته ويحافظ على هويته الوطنية، فتأثّر بانتشار أفكار الحركات التحريرية التي عرفها العالم مطلع القرن العشرين، فتبنّاها وبذلك جرب أسلوب جديد لمقاومة الاستعمار لعلّه بذلك ينال به مراده، فظهرت ما يعرف بالحركة الوطنية بتياراتها التي اختلفت توجهاتها باختلاف مشاربها، مستخدمة وسائل كثيرة لطرح مطالبها كـ: الجرائد، الصحف، العرائض، والإضرابات، .... هذا الوعي السياسي امتدّ أثره إلى مختلف مناطق الوطن بما فيها منطقة الجلفة، ويمكن تلخيص هذا الوعي في ما يلي:

مشاركة أبناء منطقة الجلفة في مظاهرات 8 مظاهرات 1945م التي انتشرت عبر الكثير من مناطق الجزائر: قالمة، سطيف، خراطة وغيرها؛ إذ قام مجموعة من أبناء المنطقة بالتحضير من أجل الخروج في مظاهرات سليمة التي خطط لها كلّ من: محاد بالحاج، والسعيد وشكالي الطيب، إلا أنّ السلطات الفرنسية تفطنت لهذه التحضيرات ومنعتها، وهذا ما تعكسه الإجراءات الأمنية الفورية التي قامت في اليوم نفسه بالمنطقة: إذ اعتقلت عددا من المناضلين بالمنطقة مثل: الحاج قويدر، خليل يونس، بلهادي

بن محاد بن علي، المصفى بن لطرش، سالت الميلود، عمار النعاس، قرش موسى ونفت عددًا منهم (شكالي، 2018)، وقامت بوضع حراس على أبواب مدينة الجلفة: باب الشارف؛ باب بوسعادة، كما أمرت ذات السلطات بغلق أبواب المدينة بالليل (السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية الجلفة (1954-1962)، 2014، صفحة 22)

كما حظيت تيارات الأحزاب السياسية الجزائرية باختلاف مشاربها، بمناصرين لها في المنطقة، فقد برز نشاط حزب الشعب في منطقة الجلفة عقب مجازر 8 ماي 1945م (السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية الجلفة (1954-1962)، 2014، صفحة 22)، إذ كان النشاط السياسي متواصلا بين قادة الحزب والمنطقة بواسطة التقارير للمداخيل والمناشير المتبادلة، هذه التقارير تحتوي على (وصف لحالة البلاد، للمداخيل، الاعتقالات، الاشتراكات المالية للمناضلين...).

المساهمة في الثورة التحريرية الكبرى:

ظلّ نشاط الأحزاب لاسيما الحزب ذو التّوجه الاستقلالي باستخدام الوسائل السلمية متواصلا، يحاول افتكاك الحرية إلا أنّ أعضاءه أدركوا أن ما أخذ بالقوّة لا يستردّ إلا بالقوة، فاندلعت الثورة التحريرية الكبرى في كل مناطق الوطن، وشهدت أراضي منطقة الجلفة عدّة معارك ضد قوات العدو الفرنسي كـ: معركة قعيقع بتاريخ: 1956/06/10 (جرد، 2009/2008، الصفحات 159-161) وقعت المعركة بجبل قعيقع وهو ضمن سلسلة جبال أولاد نائل الذي يعتبر من أهمّ المراكز الاستراتيجية لجيش التحرير الوطني، تعتبر أول معركة بالمنطقة؛ معركة جبل حواص في 1957/04/10: جرت وقائع هذه المعركة بجبل حواص (جرد، 2009/2008، صفحة 169)، معركة جبل سردون في: 1959/02/19 (جرد، 2009/2008، الصفحات 176-178)، وغيرها من المعارك.

ممّا سبق نستنتج أنّ أبناء منطقة الجلفة وقفوا في وجه المستعمر طيلة القرن 19 م، بل أكثر من ذلك فإنهم لم ينتظروا حتى تزحف قوات الاحتلال إليهم بل هم زحفوا إليها في السنوات الأولى من الاحتلال، كما أنّ أبناء منطقة الجلفة قد شاركوا في معظم المقاومات الشعبية والمقاومة السياسة السلمية، إضافة إلى مشاركتهم في الثورة التحريرية الكبرى، هذه المشاركة لم تكن على مستوى تراب منطقتهم فحسب، بل كان تواجدهم في مختلف ربوع الوطن، وبذلك فقد ساهموا في افتكاك الحرية والاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية من يد المحتلّ الفرنسي، وهو ما أدّى إلى الحفاظ على الهويّة الوطنيّة.

3- مساهمة زوايا منطقة الجلفة في الحفاظ على الهوية الدينية واللغوية:

اتفق علماء الأنثربولوجيا على وجود خصوصيات في الجوانب الاجتماعية والثقافية والفكرية والأخلاقية، تميز المجتمعات عن بعضها البعض، فما يميّز المجتمع الجزائري من خصوصيات تلك المتعلقة بالمؤسسات الدينية وعلى رأسها الزوايا، إذ كانت المركز الذي تدور حوله كل النشاطات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والدّينيّة على مدار قرون من الزمن (مجاود، 2007، صفحة 153).

وقد أرجع بعض الكتاب الفرنسيين فشل سياسة الفرنسة في الجزائر إلى الزوايا، إذ كانت هذه الأخيرة بمثابة مراكز دينية وثقافية ومدارس للكبار والصغار التي بقيت منتشرة في البلاد، رغم قضاء الاستعمار الفرنسي على العديد منها (نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل)، 1990، صفحة 95).

لذا فإنّ التّحليل السوسيولوجي لإبراز مكانة الزوايا اجتماعيا، ودورها الثقافي والفكري في المجتمع الجزائري طوال فترة تواجد الاستعمار الفرنسي، ينبئ عن ذلك الدور الرائد لها، باعتبارها قوّة مجاهدة ومدافعة عن الأرض الجزائريّة، ومعقل للمقاومة الشعبية ضد الاستعمار، فالزوايا على غرار المراكز العلمية والدينيّة الأخرى مثل المدارس والمساجد والكتاتيب القرآنية المنتشرة في القرى والمدن الجزائرية، عملت على الحفاظ على الموروث الثقافي العربي الإسلامي، وبفضلها تم انتشار الدين الإسلامي بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية في كامل أرجاء الوطن، فاللغة تمثّل العمود الفقري للحياة الثقافية، وأداة التواصل الاجتماعي، وتؤكد على الذات الجماعية، وعلى الوعي بالانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية، كما ساهمت الزوايا في الحفاظ على مقوّمات السكان الجزائريين، وتحصينهم ضد الانحراف وتجنيب التفسّخ والانحلال والاندماج في الثقافة الفرنسية، ثقافة الغالب، كما مكّنت المجتمع الجزائري من المحافظة على عناصر هويته ومنها: العربية والإسلامية طوال فترة الاحتلال (مجاود، 2007، الصفحات 154-156).

لم يقتصر وجود زوايا على المناطق الحضريّة للجزائر فقط، بل شمل حتى البدو الرّحل كأبناء منطقة الجلفة، فقدْ كانت هذه الزوايا بمثابة مؤسّسة تربوية ترتحل معهم بمعلميها وتلاميذها ومبناها في تنقلاتهم طلبا للماء والكلأ. وتكثفت هذه المؤسسات التربوية كأسلوب ووسيلة لمواجهة سياسة التنصير والفرنسة وحماية الشخصية العربية الإسلامية للجزائر، ولمقاومة التجهيل التي كانت تتبعها الإدارة الاستعمارية في البلاد، فقد بلغ عدد الزّوايا في منطقة الجلفة أثناء فترة الاستعمار الفرنسي أكثر من 12 زاوية انتشرت في مختلف ربوعها (نعاس، 2016)، هذه الزوايا كان يتلقّى بها الطلاب مبادئ اللغة العربية، وحفظ أجزاء أو جلّ القرآن الكريم، كما كانت تقدّم دروسا في الفقه.

فرغم التّحفظات الكثيرة التي يبديها الكثير من الكتاب تجاه مستوى ونوعية التعليم في الزاوية، إلا أنها مكّنت الجزائريين من الحفاظ على موروثهم اللغوي والديني.

4 . مساهمة أبناء منطقة الجلفة في الحفاظ على الهوية الثقافية:

إنّ من بين أهمّ عناصر الهوية ومقوّماتها هي الهوية الثقافية التي تلعب دورا مهمّا في رسم معالم الهوية الوطنية ككلّ، إذ أنّ الشعوب تتمايز عن بعضها باختلاف ثقافاتها وعاداتها وقيمها التي تفتخر بها وتُميّزها عن غيرها من الأمم. ومن المعروف أنّ الجزائر تتميز بشساعة أرضها وتنوّع تركيبتها البشرية وبالتالي تعدّد ثقافاتها وتنوعها في إطار الوحدة الوطنية، فنجد كل منطقة من مناطق الوطن تتميّز بعادات وتقاليد و طبوع ثقافية عن المناطق الأخرى.

ومن بين أهمّ المناطق التي تشتهر بطابعها الثقافي الخاص هناك منطقة الجلفة، أو ما يعرف بمنطقة أولاد نايل، التي بقيت محافظة على ذلك الطابع ومتمسّكة به إلى يومنا هذا بالرغم من الحملات الاستعمارية التي كانت تهدف لطمس تلك الهويّة الثقافية من خلال محاولات التمدّن التي انتهجتها فرنسا تجاه المجتمع النايلي، وإبعاده عن هويته المعروفة عنه، وهي أنه مجتمع بدو رحل، وهي السياسة التي قوبلت بالرفض والمقاومة، وبقى المجتمع النايلي متمسّكا بالخيمة، وبحياة البدو والرعي، وخاض في ذلك عدة معارك هَوِيَّاتِيَّة، وتعرض إلى العديد من الهجمات الاستعمارية في سبيل تحقيق مبتغاه، ألا وهو الحفاظ على هويته الثقافية بطابعها التقليدي وعاداتها وتقاليدها المعروفة بها، وهو ما تحقّق أخيرا وانتصر هذا الشعب على كل تلك الحملات، وبقيت هويته راسخة في أجيال أولاد نايل إلى يومنا هذا، تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل.

ولعلّ أهمّ ما يميز الهوية الثقافية لمنطقة أولاد نايل التي بقي محافظا عليها إلى يومنا هذا، مَا يؤكد أنّ هذا الشعب بقي محافظا على حياض هويته، مدافعا عنها، متمسّكا بها، رغم كلّ حملات التشويه والطمس والإبْعاد، وهي أمثلة تعتبر مؤشّرا جليا، ومثالا حيّا، ودليلا قويا على محافظة أبناء منطقة الجلفة على هويتهم الثقافية، نذكر منها ما يلي (خالدي، 2015، صفحة 10):

أ/- بقى سكان منطقة الجلفة محافظين على نفس الأعراف والتّقاليد البدوية للحياة الجماعية العربية؛ كالعرش (يعني مجموعة متكوّنة من العديد من الفرق) والفرقة والسماط (مجموعة من الخيم) والنزلة؛ وورثوا أيضا حياة العائلة والبيت.

ب/- حافظ على طابع مسكنه وهي الخيمة أو البيت التي كانت الحياة تسري في كامل أرجائها، وما يميزها عن الخيم البدوية الأخرى هو لونها الأحمر وعناصرها المتنوعة ومنها: الفليج...

ج/- المحافظة على طابع اللباس التقليدي للرجال، إذ يعرف على رجل منطقة الجلفة لبس البرنوس، القشابية، القندورة، السروال العربي...، والمرأة النايلية أيضا لها لباسها وزينتها الخاصة التي تشترك فيها مع بقيّة نساء الجزائر وإنْ اختلفت في التسمية ومنها: الخمري (وهو برنوس المرأة بالمنطقة)، الملحفة، الحايك، الفستان (روبة عربي)، الشدة، البثرور (وهو حزام مصنوع من الصوف) الخلخال، السخاب (حبات من الطيب والعطر من الطيب والعطر المجفف، المنديل، المدور، الحدايد، المقواس، المحزمة، الخُمسة....

المحور الرابع:

الآثار المترتبة على محافظة أبناء منطقة الجلفة على الهوية الوطنية

لقد تبين من خلال ما سبق أنّ أبناء منطقة الجلفة اجتهدوا كثيرا في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية الجزائرية، وعانوا ويلات الظلم الاستعماري الذي عمل عبر محاولات عديدة لطمس تلك الهوية، وإبعاد الشعب الجزائري عن هويته وعاداته وتقاليده، وهي الجهود التي كللت بالنجاح، واستطاع الشعب

الجزائري، ومنه أبناء المنطقة، أن يحافظوا على هويتهم وعلى عاداتهم وتقاليدهم، وهذا ما يشهد عليه التاريخ حاضرا ومستقبلا إن شاء الله.

حيث أنّ أي مراقب منصف سيلاحظ أن أبناء المنطقة ليومنا هذا مازالوا يحافظون على مقومات هويتهم لاسيما منها تمسّكهم بالدين الإسلامي الحنيف، والتزامهم بتعاليمه، ويظهر ذلك جليا من خلال عدد المساجد الكبير المنتشرة عبر ربوع المنطقة، وكذا مظهر الالتزام الدّيني للنساء من خلال لباسهم المحتشم سواء التّقليدي (الملحفة والحايك والزمالة...) أو العصري (الحجاب..)، والمطابق لتعاليم الدّين الإسلامي، وكذا لباس الرجال خاصة أيام الجمعة والأعياد، أين يرتدي كل رجال المنطقة تقريبا القندورة العربي والقشابيّة والبرنوس.. ما يعطي مظهرا عاما لتأثير الطابع العربي الإسلامي في المنطقة، ناهيك عن المدارس والكتاتيب القرآنية المنتشرة كثيرا في كل ربوع ولاية الجلفة.

ومن جهة أخرى مازال اللباس العربي هو السائد عند أبناء المنطقة، لسانا عربيا فصيحا، يتداوله النّاس في التّواصل فيما بينهم في كلّ شؤون حياتهم، بل إنّ أبناء المنطقة يعتبرون هم الأقرب لسانا إلى اللغة العربية من كلّ أبناء الجزائر، خاصّة من خلال كتاباتهم وخطاباتهم وأشعارهم... التي يشتهرون بها الآن بين الشّعب الجزائري لدرجة صار عندهم طابعا شعريا شعبيا خاصا بهم...

لأجل هذا يحقّ لنا أن نؤكّد أنّ أبناء منطقة الجلفة قد نجحوا نجاحا باهرا في الحفاظ على الهوية الوطنية بأبعادها المختلفة (الدين واللغة والثقافة) ومازالوا متمسّكين بها إلى يومنا هذا.

الخاتمة:

لكلّ شعب من شعوب العالم هويته الخاصة به، التي تميزه عن غيره من الشعوب والأمم، والشعب الجزائري من بين تلك الشعوب التي تمتلك هويّة راسخة وواضحة المعالم، بل إنّ أكثر ما يميز الشعب الجزائري هو تعلقه الشّديد بها وحفاظه الكبير على تلك الهوية بكل مكوناتها وعناصرها: الدينية، اللغوية والثقافية.

وعلى الرغم من المحاولات الاستعمارية لطمس تلك الهوية التي مارس من خلال المستعمر الفرنسي أقسى أنواع الاستعمار البشري، إلا أنّ الشعب الجزائري قاوم كل تلك المحاولات في سبيل الحفاظ على هويته وعدم الانسلاخ منها، بالرغم من طول مدّة بقاء الاستعمار الذي ناهز القرن وثلاثين سنة، إلا أنه خرج منتصرا في كل معاركه مع الاستعمار ومنها معركة الهوية، فبقي محافظا على دينه الإسلامي، ومتمسكا بلغته العربية، ومتشبّثا بطابعه الثقافي وعاداته وتقاليده.

وسكان منطقة الجلفة أحد أهمّ مكوّنات الشعب الجزائري، حيث يمثّل ركيزة من ركائز الوطن وداعما حقيقيا في استقلاله ووحدته، ومساهما فعالا في معركة الهوية ضد الاستعمار الفرنسي، وبقي محافظا إلى اليوم على كل عناصر الهوية الدينية واللغوية والثقافية.

إنّ تلك الجهود لم تذهب سدى، بل جعلت المنطقة إلى يومنا هذا محافظة على مقومات هويتها العربية الإسلامية، دينا ولغة وثقافة، ويظهر ذلك جليا في الطابع العام للمنطقة وسكانها من خلال كثْرة

المساجد والالتزام بالتعاليم الإسلامية، وكذا المظهر العام للباس النايلي سواء كان للنساء أم الرجال، الذي يتميّز بطابعه العربي الإسلامي الأصيل.

الإحالات والمراجع:

1. السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية الجلفة .(2014) .(1954-1962) الجلفة، 2014.
2. *Arnaud. (1873). Histoire Des Oulad Nail. Revue Africane, p. 305.*
3. *Villaret, F. d. (1995). Siécles de Steppe Jalons pour L Histoire De Djelfa (Deuxieme partie: Les Oulad Nail). Algérie: Centre de Douumentaion Saharinne Ghadaia.*
4. أوشن ,س.(2009/2010) .دور المجتمع في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي -دراسة حالة الجزائر .-رسالة ماجستير .العلوم السياسية ,جامعة الحاج لخضر باتنة :غير موجود.
5. تركي ,ر .(1986) .التعليم القومي والشخصية الوطنية (من 1930إلى 1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية . الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
6. جرد ,س ,2008/2009) .غير موجود غير موجود .(دور المنطقة الثانية من الولاية التاريخية السادسة في الثورة التحريرية الكبرى .1956-1962
7. حلوش ,ع .ا .(2010) .سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر.الجزائر :دار الأمة.
8. خالدي ,ع .ا .(2015) .حياة البدو الرحل.الجزائر :دار الهدى.
9. خلدون ,ا .(2000) .العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج : 6بيروت :دار الفكر.
10. خليفة ,أ .ا .(2003) .المسألة الثقافية.الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية.
11. خليفي ,ع .ا .(2007) .دور الطرق الصوفية في المحافظة على الهوية الوطنية.ملتقى وطني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية .(p. 95)وهران :وزارة المجاهدين .2007
12. دوفيلاري ,ف .(2015) .السهوب عبر العهود)مرافئ لتاريخ الجلفة.(الجلفة :منشورات دار الضحى.
13. زردومي ,أ .(2009) .الهوية الوطنية لدى السباب الجزائري بين المحافظة وأزمة الانفتاح.ملتقى وطني :دور الإعلام في تعزيز الهوية وتحقيق التنمية .جامعة باتنة.
14. شكالي ,ا .ا.(2018, 01 29) .شهادة المجاهد الطيب شكالي) .م .م .بالجلفة(Intervieweur ,
15. مجاود ,م .(2007) .دور الزوايا في المقاومة والثورة التحريرية.الملتقى الوطني حول دور الزوايا إبان المقاومة والورةالتحريريةالكبرى .(p. 153)الجزائر :وزارة المجاهدين.
16. مغدوري ,ح .(2015) .لمحات عن مقاومة أولاد نايل للاحتلال الفرنسي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر من خلال وثيقة أرشيفية بأرشيف ماوراء البحار باكس بروفانس.ملتقى وطني حول الجلفة مسيرة كفاح -1830) 1962(الجزائر :دار النعمان. (p. 195).
17. مقلاتي ,ص .(2009) .تعزيز الهوية الوطنية باعتماد مقاربة العلاقات العامة.ملتقى وطني :دور الإعلام في تعزيز الهوية الوطنية وتحقيق التنمية .جامعة باتنة.
18. نسير ,ه :https://archive.islamonline.net/5378 sur 2020, 12, 09 le Consulté .(s.d.) . https://archive.islamonline.net/5378

19. نعاس ,ع .ع .(2016) .تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد -باقة من العلماء والصلحاء لمدينة الجلفة وضواحيها - .الأغواط :مطبعة الرويغة.
20. نعمان ,أ .ب .(1990) .فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر)الخلفيات، الأهداف، الوسائل، البدائل.(الجزائر : منشورات دحلب.
21. نعمان ,أ .ب .(1995) .الهوية الوطنية :الحقائق والمغالطات .الجزائر :دار الأمة.
22. وأخرون ,ش .ب .(2017) .المقاومات الشعبية ببلاد أولاد نايل –مقاومة الحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي (1849 -1831)الجلفة :الجلفة أنفو.